

لمشهد الكاظمي في العصر العباسي

بقلم : الشيخ محمد حسن آل ياسين

حظيت المنطقة التي تدعى بعض أجزائها اليوم بـ « الكاظمية » باهتمام خاص من الحكام الكشيين ؛ حيث نجد أن الملك كوريكالزو الاول يومئذ قد بالغ في العناية بهذا الجزء من رقعة ملكه بنائه لمدينة « عقرقوف » العظيمة التي كانت تسمى « دور - كوريكالزو » . ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم في جوار الكاظمية على نحو ستة أميال عنها من جهة الغرب ، وهي تنطق بالمهارة الفائقة المبذولة في بناء هذه المدينة الكبيرة وصرحها الشاهق .

وتدلنا ضخامة أبنية المدينة وجوده بنائها والاسراف فيه على أن المدينة ظلت مأهولة حيناً طويلاً من الدهر ، ويرجح كثيراً أنها كانت عاصمة السلالة الكشية منذ بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد وإلى نهاية السلالة الكشية .

وبقيت هذه الارض مجهولة الحقيقة في العهود التالية كالعهد السلوقي والاخميني والفرثي والساساني ، وان رجح - في أكثر الظن - انها كانت موضع العناية والرعاية ؛ وغير خالية من الحياة والسكان ؛ ولو لغرض الزراعة على الأقل .

وكان الاسم الاخير لهذه المنطقة قبل بناء بغداد هو « الشونيزي » ، ويرجح أن تكون هذه التسمية قد اطلقت بعد انتهاء العهد الساساني ؛ لان التسمية عربية ، والشونيز في اللغة هو الحبة

وبهذا تصبح « عقرقوف » ممثلة لعهد من عهود العراق القديمة التي تعد مصادر معرفتنا به

(*) مستل من كتاب « تاريخ المشهد الكاظمي » المخطوط لكاتب المقال .

(١) دليل تاريخي على مواطن الاثار : ٢٧ - ٣٠ .

يشير الى مشاركة سائر القرشيين - والعباسيون والعلويون في طليعتهم - في هذه المقبرة • وقد تسمى أيضا مقابر بني هاشم^(٨) •

ومع مرور الايام درس اسمها الاول « الشونيزي الصغير » واشتهرت باسمها الجديد • وكان أول من دفن في هذه المقبرة جعفر الأكبر بن ابي جعفر المنصور في سنة ١٥٠ هـ^(٩) • ثم دفن بعده الهيثم بن معاوية في هذه المقبرة أيضا في عام ١٥٦ هـ^(١٠) • ولما توفيت الخيزران أم الرشيد سنة ١٧٣ هـ دفنت هناك أيضا^(١١) •

والظاهر ان أول بناء اسلامي حدث في هذه المقبرة هو قبة جعفر ، ولعلها القبة التي ضمت بعد ذلك سائر العباسيين الذين دفنوا هناك ، وتستفيد وجودها من قول ابن خلكان عند ذكره وفاة الامام الكاظم (ع) : « ودفن في مقابر الشونيزية خارج القبة »^(١٢) • ولا شك انه يقصد بذلك قبة جعفر بن المنصور ؛ لانه أول من دفن في هذه المقابر ، بل كان أشهر اولئك المدفونين حتى تاريخ وفاة الامام ، خصوصا وان وفاته كانت في حياة أبيه ؛ وقد افتجع به كل الافتجاع •

السوداء ، والنسبة اليها شونيزي^(٢) • ويروي الخطيب البغدادي سبب التسمية بـ « الشونيزي » فيقول : « سمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديما تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوتة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، وكان أخوان يقال لكل واحد منهما « الشونيزي » فدفن كل واحد منهما في احدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة اليه »^(٣) •

مقابر قريش :

وفي عام ١٤٥ هـ ابتداء المنصور العباسي في تأسيس مدينة بغداد^(٤) ، واستتم البناء - في رواية الخطيب البغدادي - في عام ١٤٦ هـ^(٥) ، ولكن الطبري يصرح في حوادث سنة ١٤٩ هـ ان المنصور قد استتم في هذه السنة بناء سور المدينة وفرغ من خندقها وجميع أمورها^(٦) • ومهما يكن من أمر ، فان المنصور لما انتهى من عمارة مدينته بالجانب الغربي من بغداد اقتطع مقبرة الشونيزي الصغير فجعلها مقبرة^(٧) ، ولعله افترضها خاصة بأسرته وذوي قرباه فأسمائها « مقابر قريش » ، وربما اختار لفظ « قريش »

(٨) تاريخ الطبري : ٣٠١/٦ والبداية والنهاية : ١٠٧/١٠ ويقول الاربلي في كشف الغمة : ٢٤٩ « وكانت هذه المقبرة لبني هاشم » ، ويقول المفيد في الارشاد : ٣٢٣ « انها لبني هاشم والاشراف من الناس » •

(٩) الطبري : ٢٨٨/٦ وتاريخ بغداد : ١٢٠/١ ومعجم البلدان : ١٠٧/٨ •

(١٠) الطبري : ٣٠١/٦ •

(١١) الكامل : ٨٧/٥ •

(١٢) وفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ •

(٢) فصلنا ذلك كل التفصيل في كتابي « تاريخ الكاظمية » المخطوط •

(٣) تاريخ بغداد : ١٢٢/١ ومثله في وفيات الاعيان : ١٠٣/٢ •

(٤) تاريخ الطبري : ٢٣٤/٦ وتاريخ بغداد : ٦٦/١ •

(٥) تاريخ بغداد : ٦٦/١ •

(٦) تاريخ الطبري : ٢٨٥/٦ ومثله في معجم البلدان •

(٧) معجم البلدان : ١٠٧/٨ •

دفن الامام الكاظم :

أن يكون وصفا لقبر الامام حين دفنه وما أضيف اليه وأسبغ عليه من بناء وعمران بعد دفنه ، ولكننا نستفيد مما روي عن الامام الرضا علي بن موسى (ع) وجود حيطان تدور حول القبر وجدار مختص به ومسجد حوله يصلي فيها الناس^(١٨) .

وفي عام ١٨٣ هـ لخمس بقين من رجب^(١٣) توفي الامام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، وحمل جثمانه الطاهر الى مقابر قریش فدفن هناك حيث قبره الشريف الآن .

دفن الامام الجواد :

وفي عام ٢٢٠ هـ^(١٩) في آخر ذي القعدة أو لخمس أو لست خلون من ذي الحجة توفي ببغداد أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر (ع) ، ودفن « في تربة جده ابي ابراهيم موسى بن جعفر (ع) »^(٢٠) .

وذهب المسعودي الى أنه « دفن في موضع كان ابتاعه لنفسه في مقابر قریش بمدينة السلام »^(١٤) ، ولم أعر على ما يؤيد ذلك في المصادر الاخرى ، فان صحت هذه الرواية فانها لتدل على مقدار الاهمية التي حظيت بها هذه الارض خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة عقود من السنين .

ولم نعر على وصف لما أصبح عليه المشهد بعد دفن الامام الجواد (ع) مباشرة أو بعد ذلك بحين ، ولكن المتيقن ان القبرين الشريفين كانا في بنية خاصة بهما^(٢١) ، وكان يتردد على زيارتهما كثير من الناس في هذه البنية الخاصة ، ويستفاد من رواية المسعودي السابقة التي ذكر فيها لفظ « تربة جده ابي ابراهيم . الخ » ان هناك قبة خاصة على القبرين ؛ لان التربة لا تطلق الا على قبر مختص عليه قبة^(٢٢) ، كما استفاد من

واشتهر مدفن الامام بعد ذلك باسم « مشهد باب التبن »^(١٥) و « مشهد موسى بن جعفر » و « قبر موسى بن جعفر » . وانفرد الطبري الامامي بتسميته في أثناء احدي رواياته بـ « مسجد ابي ابراهيم موسى بن جعفر »^(١٦) ، ولعل كلمة « مسجد » تصحيف لـ « مشهد » كما يرجح في الظن ، أو ان المقصود به مسجد باب التبن^(١٧) ؛ وقد نسبة للامام لوقوع قبره بالقرب منه .

وليس لدينا من احاديث المؤرخين ما يصلح

(١٨) كامل الزيارات : ٢٩٩ - ٣٠٠ .
 (١٩) الارشاد : ٣٣٩ واثبات الوصية : ١٨٦ وتاريخ بغداد : ٥٥/٣ وتذكرة الخواص : ٣٦٨ والفصول المهمة : ٢٥٧ ومطالب السؤل : ٧٥/٢ .
 ووفيات الاعيان : ٣١٥/٣ .
 (٢٠) اثبات الوصية : ١٨٦ .
 (٢١) وردت في دلائل الامامة : ٢٦٢ قصة تاريخها سنة ٢٨٦ هـ يستفاد منها وجود بناء خاص بالمشهد .
 (٢٢) مشهد الكاظمين : ٣ .

(١٣) الطبري : ٤٧٢/٦ والارشاد : ٣٢٣ .
 وتاريخ بغداد : ٣٢/١٣ والكامل : ١٠٨/٥ والبدية والنهاية : ١٨٣/١٠ ووفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ .
 (١٤) اثبات الوصية : ١٦٤ .
 (١٥) سمي بذلك نسبة الى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة ، ويراجع معجم البلدان : ١٤/٢ .
 (١٦) دلائل الامامة : ٢٩٦ .
 (١٧) صدى الفؤاد : ١١ .

رواية مسكويه^(٢٣) اثناء حديثه عن المحسن بن الوزير ابن الفرات وجود سكان حول المشهد وبجانب مقابر قریش •

وفي عام ٣٣٤ هـ دخل معز الدولة البويهبي بغداد محتلا لها بالقوة ، فسيطر على شؤونها ، وأصبح له الاشراف والتصرف الكامل في أمور الدولة ، وكان من جملة أعماله أنه أمر في عام ٣٣٦ هـ باعادة تشييد المرقد من جديد ، فجددت العمارة ، ووضع على القبرين ضريحان خشبيان من خشب الساج وقبتان فوقهما من الساج أيضا ، وأدير عليهما حائط كالسور ، ثم أمر بانزال بعض الجنود الديلمة ومعهم بعض المراززة هناك لغرض الخدمة والحفاظ على الامن ، وكانت هذه العمارة الجديدة سببا في انتشار الدور حول المشهد وتوسع مجال السكنى هناك ، لاستتباب الامن وارتفاع أسباب الخوف^(٢٤) •

وكانت هذه العمارة اول عمارة كبيرة تشييد على القبرين بعد دفن الامامين (ع) •

ولما توفي معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ دفن في داره أولا ثم نقل جسده في سنة ٣٥٨ هـ الى تربة بنيت له في مقابر قریش^(٢٥) •

والظاهر ان القبتين اللتين كانتا على الضريحين كبيرتان يسع فضاءهما عددا كبيرا من المصلين والزائرين ؛ كما تشعر به رواية الصدوق في زيارة الامامين^(٢٦) ورواية الذهبي في احتفالات عيد

الغدیر سنة ٣٥٢ هـ^(٢٧) •

وتوالت الهدايا على المشهد بعد عمارة معز الدولة ، حتى روي ان من جملة ما كان في المشهد بعد تجديد عمارته هذه قنديل صفر مربعا بديع الصنعة غاية في حسنه ، وهو من عمل ابي الحسن علي بن عبدالله بن وصيف الناشي شاعر أهل البيت المتوفى سنة ٣٦٥ هـ^(٢٨) ، وكان الناشي يعمل الصفر ويخرمه وله فيه صنعة بديعة •

ولما زادت دجلة زيادتها العظيمة في عام ٣٦٧ هـ غرقت جهات كثيرة من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضا مقابر باب اتنين بالجانب الغربي منها^(٢٩) ، ولعل هذا الغرق هو الذي حدا بأبي شجاع عضد الدولة الى بناء سور حول المشهد^(٣٠) ليقيه من غرق مقل ، أو أنه كان له سور ثم تهدم بالغرق فأعاد عضد الدولة تشييده •

وليس بعيد أن يقوم عضد الدولة باحداث أعمال أخرى له في المشهد لم يسجلها المؤرخون ، لانه أمر في سنة ٣٦٩ هـ بعمارة منازل بغداد وأسواقها وابتدأ بالمساجد الجامعة « وكانت أيضا في نهاية الخراب فأنفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنائها ، وأعادها على احكام ، وشيدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بادرار أرزاق قوامها ومؤذنيها والأئمة والقراء فيها واقامة الجرايات لمن يأوي اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهملا •• وعول في هذه المصالح على

(٢٧) هامش تجارب الامم : ٢٠٠/٦ عن تاريخ الاسلام للذهبي •

(٢٨) معجم الادباء : ٢٨٥/١٣ •

(٢٩) الكامل : ٩٣/٧ •

(٣٠) صدى القواد : ١٢ •

(٢٣) تجارب الامم : ١٣١/٥ •

(٢٤) صدى القواد : ١١ - ١٢ •

(٢٥) وفيات الاعيان : ١٥٨/١ والبدائية والنهاية : ٢٦٢/١١ •

(٢٦) من لا يحضره الفقيه - كتاب الزيارات - •

عمال ثقات أشرف عليها نقيب العلويين « (٣١) ، ولا شك ان مشهد موسى بن جعفر كان في الطليعة من تلك المساجد ، ولعل هذا الادرار للارزاق واقامة الجرايات قد أزداد من الرغبة في الاقامة والسكنى حول المشهد ، خصوصا وانه أمر بعد ذلك بأن تطلق الصلات « لأهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوي الفاقة » . وكذلك فعل بالمشهدين بالغري والحائر على ساكنيهما السلام وبمقابر قریش « (٣٢) .

وما بين عامي ٣٧٦ - ٣٧٩ هـ وهي أعوام مكث شرف الدولة بن عضد الدولة ببغداد قام حاجبه التركي أبو طاهر سباشي بحفر ذنابة لنهر دجيل وسوق الماء منها الى المشهد « (٣٣) » وتضيف الرواية أعمالا أخرى للحاجب المذكور ، كان منها بناء مشهد الكرخ ، ولم يتضح لنا المقصود من هذه العبارة ، فان قصد به المشهد الكاظمي باعتبار مجاورته للكرخ ووقوعه في الجانب الغربي من بغداد فمعنى ذلك ان سباشي قد جدد عمارة المشهد وأزال عمارة معز الدولة ، وان قصد به مشهد آخر أو كان تصحيفا للكلمة « مسجد » فليس لنا به حينئذ شاهد .

وفي سنة ٤٣٥ هـ توفي ابو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة فدفن في داره ثم نقل تابوته في سنة ٤٣٦ هـ من داره الى مشهد باب التبن الى تربة له هناك ، ولما توفي ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور سنة ٤٤١ هـ دفن عند أبيه

بمقابر قریش بمشهد باب التبن أيضا « (٣٤) » .

وفي أواخر العهد البويهي - أو في أوائل الربع الثاني من القرن الخامس على وجه التحديد - كانت عمارة المشهد قد بلغت غاية فخامتها وروعها وزينتها وجلالها ، وأصبحت زاخرة بالقناديل والمحاريب والستور وأكثرها من الفضة والذهب ، بالإضافة الى القبتين والضريحين الساج ، كما كان للمشهد آنذاك سرر يدور حوله وأبواب للدخول والخروج وبوابون مسؤولون عن كل ذلك ، وترب ، ودوز يسكنها كثير من الناس ومنهم القوامون على شؤون المشهد ، والى غير ذلك مما لم يذكره المؤرخون .

وقد دلنا على بعض ذلك ما سبق منا ذكره من نصوص وروايات ، كما دلنا على بعضه الآخر ما رواه المؤرخون في وصف الفتنة العمياء التي وقعت في شهر ربيع الاول سنة ٤٤٣ هـ « (٣٥) » مما لا مجال للدخول في تفاصيله .

وقام البساسيري والملك الرحيم بالمشاركة في تشييد المشهد ، فجددا البناء ، ووضعاً صندوقين جديدين على القبرين ، وشيدا سياجا جديدا أيضا للروضة نفسها وقبة عليها ، كما شيدا الى جنب ذلك بهوا واسعا من جهة الجنوب ، وجعلا الى جنب ذلك أيضا مسجدا ومأذنة ، وكان ذلك كله - في رواية السماوي - سنة ٤٤٤ هـ « (٣٦) » .

وفي رواية الدكتور مصطفى جواد أن البساسيري

(٣٤) الكامل : ٣٧/٨ و ٤٠ .

(٣٥) الكامل : ٥٩/٨ والنبراس : ١٣٧
والمنتظم : ١٥٠/٨ .

(٣٦) صدي الفؤاد : ١٢ - ١٣ .

(٣١) تجارب الامم : ٤٠٤/٦ - ٤٠٥ .

(٣٢) تجارب الامم : ٤٠٧/٦ .

(٣٣) فرحة الغري : ١٣ .

ولما رجع الخليفة من حرب ديبس سنة ٥١٧ هـ
ثار المشاغبون ببغداد « فقصدوا مشهد مقابر
قريش ونهبوا ما فيه ، وقلعوا شبائكه^(٤٣) وأخذوا
ما فيه من الودائع والذخائر ، وجاء العلويون
يشكون هذا الحال الى الديوان ، فأُنهى ذلك ،
فخرج توقيع الخليفة بعد أن أطلق في النهب بانكار
ما جرى ، وتقدم الى نظر الخادم بالركوب الى
المشهد وتأديب الجناة ، ففعل ذلك ورد بعض ما
أخذ^(٤٣) .

وفي سنة ٥٥٤ هـ أصيبت بغداد بفيضان هائل
دمرَ كثيرا من محلات الجانب الشرقي « وأما
الجانب الغربي ففرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل
وغيرها من المقابر ، وانخفضت القبور المبنية ؛
وخرج الموتى على رأس الماء ، وكذلك المشهد
والحرية ، وكان أمرا عظيما^(٤٤) .

وفي سنة ٥٦٩ هـ زادت دجلة زيادة عظيمة
« وأسكرت الحربية والمشهد ، ووقع أكثر
سور المشهد ، ونبع من داخله الماء فرمى الدور
والتراب^(٤٥) .

وهكذا ينتهي العصر العباسي الثالث والمشهد
عامر بالسكان ، محاط بالدور ، يدور عليه سور
المتجدد كلما أصيب بالهدم ، وليست لدينا أية
معلومات أخرى عن هندسة المشهد وأروقه
ومداخله ومخارجه .

ولما آلت الخلافة الى الناصر لدين الله في سنة

(٤٢) وفي رواية الكامل : ٣١١/٨ « وقلعوا
أبوابه » .

• (٤٣) المنتظم : ٢٤٣/٩

• (٤٤) الكامل : ٦٦/٩

• (٤٥) المنتظم : ٢٤٥/١٠

هو الذي قام بذلك بمفرده عندما استوسقت له
الامور في بغداد سنة ٤٥٠ هـ^(٣٧) ، ويؤيد ذلك
ان فن الهدم والتخريب قد استمرت حتى عام
٤٤٩ هـ .

وهكذا ينتهي العهد البويهي وعمارة المشهد
تزدهر بجديتها وفخامتها وترتفع قبتها ومآذنها
شاهقتين في الجو ، يلاصقهما بهو واسع جنوبي
ومسجد كبير ، والى جوانبها الاربع دور كثيرة
للسكنى وملاجيء متعددة للزائرين .

وفي عام ٤٦٦ هـ « غرق الجانب الشرقي
وبعض الغربي من بغداد ، وسيبه ان دجلة زادت
زيادة عظيمة ، وانفتح القورج عند المسناة المعزية ،
وجاء في الليل سيل عظيم . . . وغرق من الجانب
الغربي مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم
سوره ، فأطلق شرف الدولة^(٣٨) الف دينار
تصرف في عمارته^(٣٩) .

وفي عام ٤٩٠ هـ أمر مجد الملك ابو الفضل
البرأوستاني القمي بتعمير المشهد ، فعمر ورفعت
فيه مآذنتان ، وزينت القبة بالفسيفساء ، ووضع
على القبرين الشريفين صندوقان جديدان من
الساج ، وشيد الى جانب المشهد محل لاستراحة
الزائرين^(٤٠) ، وكان مجد الملك خيرا كثير
الصلاة بالليل ؛ كثير البر ولا سيما بالعلويين ؛
وقتل سنة ٤٩٢ هـ^(٤١) .

(٣٧) مشهد الكاظمين : ٧ .

(٣٨) هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن
بدران صاحب الموصل ؛ المقتول يوم الجمعة ٢٤
صفر سنة ٤٧٨ هـ .

• (٣٩) المنتظم : ٢٨٦/٨ والكامل : ١١٩/٨

• (٤٠) صدى الفؤاد : ١٤

• (٤١) الكامل : ١٩٢/٨

أمر الخليفة بتدريس مسند أحمد محاولة منه لتخفيف حدة التوتر بين السنة والشيعة .

وفي سنة ٦١٤ هـ حدث ببغداد فيضان هائل . . . « ونبع الماء من البلايع والآبار في الجانب الشرقي . . . وأما الجانب الغربي فتهدم أكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن » (٥١) .

وقام الناصر لدين الله بتعمير المشهد بعد هذا الغرق والخراب ، وأصلح سائر ما تأثر بالماء ، كما شيديسورا جديدا للمشهد ، وتم ذلك كله في نفس السنة ٦١٤ هـ (٥٢) .

وكانت في المشهد الكاظمي في هذه الفترة دار خاصة بالايام ولاسيما العلويين منهم ، كما ترشدنا الى ذلك الرواية التالية :

« حدث بدر الدين آياز مملوك مؤيد الدين القمي قال : طلب [مؤيد الدين] ليلة من الليالي حلاوة النبات فعمل له في الحال منها صحون كثيرة وأحضرت بين يديه في ذلك الليل ، فقال لي : يا آياز تقدر تدخر هذه الحلاوة لي موفرة الى يوم القيامة ، فقلت : يا مولانا وكيف يكون ذلك وهل يمكن هذا ؟ قال : نعم تمضي في هذه الساعة الى مشهد موسى والجواد عليهما السلام وتضع هذه الاصحن قدام أيتام العلويين ؛ فانها تدخر لي موفرة الى يوم القيامة ، قال آياز : فقلت السمع والطاعة ، ومضيت - وكان نصف الليل - الى المشهد وفتحت الابواب وأنبت الصبيان الايتام ووضعت الاصحن بين يديهم ، ورجعت » (٥٣) .

٥٧٥ هـ قام بتجديد الصندوق الساج المطعم بالذهب وبنى رواقا جديدا وبهوا ومآذنا متعددة ، وزين كل ذلك بأبهى زينة ، وشيد الحجرات والغرف في أطراف المشهد » (٤٦) .

والظاهر ان المنطقه قد أصبحت مأهولة بالسكان بنحو يصح أن يقال فيه « أهل مشهد موسى بن جعفر » كما يقال « أهل الكرخ » أو « أهل المختارة » (٤٧) .

كما يظهر ان الرواق الذي بناه الناصر لدين الله كان يشبه من حيث التخطيط أروقة المشاهد في هذه العصور ، حيث كان له باب يسمى الباب الاول (٤٨) ، وكان الدخول الى الروضة من داخل الرواق ولها باب خاص يسمى الباب الثاني .

ولما أمر الخليفة في سنة ٦٠٤ هـ ببناء دور في أطراف بغداد لاطعام الفقراء باسم دور الضيافة كان المشهد الكاظمي من جملة ما تشعب به بعض النصوص (٤٩) ولما يعلم من سلوك الناصر وجه لأهل البيت (ع) .

وفي سنة ٦٠٨ هـ « أمر الخليفة أن يقرأ مسند الامام أحمد بن حنبل بمشهد موسى بن جعفر بحضرة صفى الدين محمد بن معد الموسوي باجازة من الخليفة » (٥٠) ؛ وقد يستفاد من ذلك وجود ما يشبه المدرسة في المشهد ، ولا بد من تدريس فقه أهل البيت فيها وتاريخهم وأخبارهم ، وقد يكون

(٤٦) صدى الفؤاد : ١٣ .

(٤٧) مرآة الزمان : ٣٥٩ .

(٤٨) الجامع المختصر : ١٤٦/٩ .

(٤٩) الكامل : ٣١٩/٩ .

(٥٠) مرآة الزمان : ٥٥٦ .

(٥١) الكامل : ٣١٩/٩ .

(٥٢) صدى الفؤاد : ١٤ .

(٥٣) الفخري : ٢٨٦ .

مشجرة متداخلة متناظرة كبيرة الحروف في غاية الجمال والاتقان ، وقد حفرت داخل شبكة من زخارف شجرية أوطأ سطحاً من مستوى الكتابة . ويبلغ عرض السطر الواحد ٤٣ سم ، وطوله في الجنبين الصغيرين ٩٠ر٥ سم ، وفي الجنبين الكبيرين ١٨٩ سم ، وكل سطر في داخل اطار مستطيل الشكل منقوش في أصل الخشب مزخرفة بزخرفة نباتية عرضه ١٢ سم .

أما نص الكتابة المنقوشة على الصندوق فهو :
(أ) الكتابة النسخية التي حول الغطاء ابتداء

من عند الرأس :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم . انما يريد الله ليذهب .

٢ - عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا . هذا ما تقرب الى (الله) تعالى بعمله خليفته في أرضه .

٣ - ونائبه في خلقه سيدنا ومولانا امام المسلمين المفروض .

٤ - الطاعة على الخلق أجمعين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ثبت الله دعوته سنة ستمائة وأربع وعشرين .

(ب) الكتابة الكوفية في الجنوب :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ - هذا ضريح الامام ابو (كذا) الحسن موسى بن جعفر .

٣ - ابن محمد بن علي بن .

٤ - الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم

ولما آلت الخلافة الى الظاهر بأمر الله لم يستجد شيء في أيامه القصيرة « سوى احتراق القبة الشريفة بمشهد موسى والجواد عليهما السلام ، فشرع الظاهر في عمارتها ، فمات ولم تفرغ ، فتمها المستنصر » (٥٤) .

وحينما آل الامر الى المستنصر سنة ٦٢٣ هـ تولى اكمال المشاريع العمرانية في المشهد ، فأكمل القبة والرواق والمآذن ، ووسع البهو ، وأزاد في سعة الحرم ، وكان الناظر على ذلك أحمد جمال الدين ، وتم ذلك سنة ٦٢٤ هـ (٥٥) .

وقد تسمى هذه العمارة بـ « المقبرة الجديدة » كما يستفاد ذلك من بعض النصوص (٥٦) .

وكان من جملة آثار المستنصر صندوقان فخمان من الخشب الجيد أمر بوضعهما على قبوري الامامين ، وتشاء الصدق الحسنه أن يبقى أحد الصندوقين حتى اليوم ، وهو صندوق قبر الامام موسى بن جعفر -ع- ، وقد تم صنعه سنة ٦٢٤ هـ .

« والصندوق مصنوع من خشب التوت ، نخن ألواح ٥٥ سم . وهو مستطيل الشكل منبسط السطح ، يبلغ طوله ٢٥٥ سم وعرضه ١٨٣ سم وعلوه ٩٥ سم . يزين حافات غطاءه كتابة نسخية غير متداخلة نقشت داخل شبكة من زخارف نباتية متناظرة متشابكة . ويزوق تاج الصندوق زخارف نباتية أيضا ، وهو يبرز مقدار ٣ سم عن مستوى وجوه الجنوب ، وفي الجنوب كتابات كوفية

(٥٤) نفس المصدر : ٢٨٧ .

(٥٥) صدى الفؤاد : : ١٤ .

(٥٦) وفيات الاعيان : ٤٣/٦ .

ذلك وجدوا برنية فيها ألفا درهم قديمة ؛ منها يونانية عليها صور ؛ ومنها ضرب بغداد سنة نيف وثلاثين ومائة ، ومنها ما هو ضرب واسط يقارب هذا التاريخ ، فعرضت على الخليفة فأمر أن تصرف في عمارة المشهد ، فأشترها الناس بأوفر الاثمان ، وأهدي منها الى الاكابر ففخذوا الى المشهد أضعاف ما كان حمل اليهم» (٦١) .

« وفي حادي عشر ذي القعدة [من تلك السنة] أمر الخليفة بحمل مشدتين الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام وتعليقهما على القبتين الشريفتين ، ثم تقدم بازالتهما في خامس عشرى الشهر المذكور» (٦٢) .

وهكذا ينتهي العصر العباسي بكل أدواره وظروفه وملابساته ؛ والمشهد الكاظمي في تقدم وتطور عمراتي مستمر ، وكان القرن الاخير من العصر العباسي قمة هذا التقدم والتطور المشار اليه . ونلخص - فيما يلي - بايجاز ما تسنى لنا معرفته من وضع المشهد وعمرانه وما دار عليه سوره من الناحية العلمية والدينية والسكنية وما الى ذلك ، مستقين كل هذه المعلومات من التنف التاريخية المارة الذكر أو ما كان على شاكلتها مما تشير اليه في ذيل الصفحة :

كانت على القبر الشريف قبة فخمة كبرى واحدة ، وبعد أن كانت في العهد البويهى اثنتين . كان على القبرين الشريفين صندوقان من الخشب الجيد .

(٦١) نفس المصدر : ٢٤٤ .

(٦٢) الحوادث الجامعة : ٢٤٤ .

السلام» (٥٧) .

والصندوق الآن في الغرفة : ١٦ في دار الآثار العربية ببغداد ؛ ورقمه هناك : ٦٢٣ - ع . وفي سنة ٦٣٥ هـ كان في المشهد أيوان كبير متصل بالحضرة يقابل باب الدخول (٥٨) ، وما أدري متى كان انشاؤه ولعله من جملة أعمال المستصر التي مرت الاشارة اليها .

وفي شوال سنة ٦٤٦ هـ « تواترت الغيوت حتى امتلأت البوايع واستجد عوضها وامتلات أيضا ، . . . وتجمر الماء بدجلة . . . وغرقت الشطائيات بالجانب الغربي من بغداد ، ومن فتحة انفتحت فوق قبر احمد بن حنبل غرق منها محلة الحربية والكرخ والمارستان . . . ووقع قطعة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب وقطعة من سور المشهد الكاظمي» (٥٩) .

« ثم زادت في ذي الحجة زيادة مفرطة أعظم من الاولى فانفتحت في القورج فتحة . . . وانفتحت أخرى الى جانب دار المسناة وأحاط الماء ببغداد . . . واما الجانب الغربي فغرق بأسره ، وأما المشهد الكاظمي على ساكنه السلام فانه هدم سوره ودوره فأقام على الضريحين الشريفين بحيث لم يبن من الرمانين سوى رؤسهما» (٦٠) .

وفي سنة ٦٤٧ هـ بعد ذلك الغرق العظيم « أمر الخليفة بعمارة سور المشهد . . . فلما شرعوا في

(٥٧) مستل من مقال بعنوان « الآثار الخشب في دار الآثار العربية في خان مرجان ببغداد » بقلم الاستاذين بشير فرنسيس والمرحوم السيد ناصر النقشبندي ، سومر : ٥٥/٥ .

(٥٨) الحوادث الجامعة : ١٠١ و ٢٦٥ .

(٥٩) نفس المصدر : ٢٣٠ .

(٦٠) نفس المصدر : ٢٢٣ .

- كانت في المشهد مكتبة^(٦٣) .
- كان الى جوار المشهد محل خاص بالايام .
- كانت في المشهد حلقات دراسية .
- كانت التربة في المشهد كثيرة متعددة .
- كان يتصل بالمشهد صحن فيه غرف وايران واحد أو أكثر .
- كانت حول القبرين الشريفين أبهاء وأروقة .
- كانت في المشهد دار لاستراحة الزائرين .
- كان المشهد مجمعا للزائرين والقاصدين في أيام المناسبات الدينية والاعياد .
- كان للمشهد خدام وبوابون ونقيب يشرف على شؤون المشهد^(٦٤) .
- أصبحت حول المشهد مدينة عامرة بالسكان يدور عليها سور^(٦٥) .
- كان للمشهد سور يحيط به^(٦٦) وهو غير سور البلدة السالف الذكر .
- ويصف ياقوت الحموي المشهد فيقول: **عقيدته** محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ، وفي ذلك المشهد ما يطول ذكره ويهول أمره^(٦٩) .

ويصفه ابن خلكان أيضا فيقول :

« وقبره [أي الامام الكاظم] هناك مشهور بزار ، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد^(٧٠) .

(٦٣) قال عبد الكريم بن طاووس في كتابه فرحة الغري : ١٢٣ « ومن محاسن القصص ماقراته بخط والدي - قدس الله روحه - على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي ٠٠٠ الخ » . وتراجع مجلة الكتاب الكاظمية (العدد الاول - المجلد الاول - : ٢٠) .

(٦٤) للنقابة والنقباء في المشهد فصل خاص في كتابنا « تاريخ المشهد الكاظمي » .

(٦٥) لم نبحث تاريخ المدينة في هذا المقال ، وقد أسهبنا القول فيه في كتابنا « تاريخ الكاظمية » .

(٦٦) الحوادث الجامعة : ١٨٥ .

(٦٧) معجم البلدان : ١٤/٢ .

(٦٨) معجم البلدان ١٠٧/٨ .

(٦٩) مشهد الكاظمين : ١٠ - ١١ نقلا عن كتاب « كنوز المطالب في أخبار آل ابي طالب » .

(٧٠) وفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ .